

## الارشاد

ما ضى المسلمين وحاضرهم ، الارشاد وما له من التأثير والمكانة في الحياة  
الاسلامية - أدلة وجوب - الارشاد من الكتاب والسنة - من يصلح للارشاد -  
أشهر طرق الارشاد - الخطابة - الدرس - التمثيل - الاسوة الصالحة - الكتابة -  
كيف يتكون المرشدون

كَمَا فَكَّرْتُ فِي أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ عِزٍّ ، وَمَا أَصْبَحُوا فِيهِ مِنْ ذَلٍّ ،  
وَمَا عُرِفَ لَهُمْ مِنَ الْمَلِكِ الْوَاسِعِ ، وَعَنْهُمْ مِنَ الْعَدْلِ الشَّامِلِ ، وَمَا صَارُوا إِلَيْهِ مِنْ  
كَلِمَةٍ مَتَفَرِّقَةٍ ، وَمَمَالِكٍ مُلْتَهَمَةٍ وَبِلَادٍ مُسْتَعْمَرَةٍ - كَمَا جَدَّ بِي التَّفَكِيرُ فِي ذَلِكَ  
حَضَرْتَنِي كَلِمَةُ « الْإِرْشَادِ » وَمَلَكْتَ عَلَيَّ نَفْسِي ، وَاسْتَوْلَتْ عَلَيَّ فِكْرِي ، وَكَيْفَ  
لَا تَكُونُ كَذَلِكَ وَبِهَا قَامَتِ هَذِهِ الْمَلَّةُ ، وَانْتَشَرَتْ هَذِهِ الشَّرْعَةُ ، وَتَكُونُ بِهَا  
الْمَلِكُ الْإِسْلَامِيُّ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا وَشَمَالِهَا وَجَنُوبِهَا . « فَحَمْدُ عَبْدِ اللَّهِ  
وَرَسُولِهِ ﷺ » لَمْ تَكُنْ لَهُ الْجِيُوشُ الْمُؤَلَّفَةُ ، وَلَا الْأَسَاطِيلُ الْقَوِيَّةُ ، وَلَا الْفُؤَادَاتُ  
الْمَاخِرَةُ ، وَلَا الطَّيَارَاتُ السَّابِجَةُ وَلَكِنْ بَيْنَ جَنْبِيهِ نَفْسٌ طَاهِرَةٌ ، وَرُوحٌ مُكَمَّلَةٌ  
حَرَكَتْ لِسَانَهُ بِالدَّعْوَةِ إِلَى الْحَقِّ ، وَارشَادِ الْخَلْقِ وَالْإِخْتِارِ بِهِمْ عَنِ اللَّغْمِ ، إِلَى السَّبِيلِ  
الْأَمِّ فَفَعَلَتْ نَفْسُهُ بِنَفْسِهِمْ ، وَرُوحُهُ بِأَرْوَاحِهِمْ مَا لَا تَفْعَلُهُ الْقَوِيُّ الْقَاهِرَةُ ، فَانْهَارَتْ  
حَرَكَتِ الْأَجْسَادُ إِلَى حَيْثُ يَرِيدُ الْمُسْتَعْبِدُونَ الظَّالِمُونَ ، فَانْهَارَتْ الْقُلُوبُ نَحْوَ  
الْقَاصِبِينَ الْمُسْتَبْدِينَ بَلْ رَجَا أَيْقَظَتْ نَائِمَهُمْ ، وَأَجَدَّتْ خَامِلَهُمْ ، وَبَعَثَتْ سَائِكَهُمْ  
إِلَى حَيْثُ يَنْوِي الْقَاصِبُ ، وَيَقْهَرُ الْغَالِبُ ، وَيُرِدُ الْكَائِدُ ، ثُمَّ يَخْتِطُ لِنَفْسِهِ مِنْ  
حُرُوقِ السَّعَادَةِ وَسُبُلِ الْعِزَّةِ مَا يُمْكِنُ لَهُ فِي الْأَرْضِ ، وَيَسْتَعِيدُ بِهِ الْمَلِكُ الْغَابِرُ ، وَالْمُجِدِّ  
السَّالِفُ ، وَسَيْطَرَةُ الْأَوَّلِينَ ، وَعِزَّةَ الْمُؤْمِنِينَ : قَامَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ ﷺ لَا حَوْلَ لَهُ وَلَا  
قُوَّةَ إِلَّا الدَّعْوَةُ إِلَى الْخَيْرِ يَنْطِقُ بِهَا قَلْبُهُ قَبْلَ أَنْ يَنْطِقَ لِسَانُهُ ، وَيُظْهِرُ أَرْهَافَ عَمَلِهِ  
وَخَلْقَهُ قَبْلَ أَنْ تُنْظَمَ فِي كَلِمِهِ فَكَانَ الْغَاسِمُونَ يَسْمَعُونَ مَعَ صَوْتِهِ وَخَيَّ قَلْبَهُ ،

ويرون في خلقه وفعله أسوة حسنة ، وقهودة صالحة ، فكل عضو من أعضائه داعيةٌ ، وكل حاسة من حواس سامعيه مشغولةٌ بدعوته ، منصرفةٌ عن غيره ، فكيف لا يُتَبَرُّها حيث يحب ، ويسخرها حيث يَودُّ ولا يحب إلا الخير ، ولا يود للناس إلا ما انطوت عليه نفسه ، وجُبِلت عليه روحه من معالي الامور ، ومكارم الاخلاق ، وكبارِ الآمال . وكذلك تحبُّ رسول الله ﷺ والتابعون لهم باحسان كانوا داعين بعلمهم وقيلهم الى هذا الدين فاستطاعوا أن ينشروه في قلوب الملايين من البشر قبل أن ينشروا سلطانه في معظم الممور من الارض اذ ذلك :

وكما كان بهذه الكلمة قيامُ الامم ، وبناء الدول كان بتركها وإهملها ذلك هذا البناء الشامخ الذي بناه على أسس الحق والعدل آباؤنا السابقون ، وسلفنا الصالحون ، وبعثه هذا الملك العريض الذي توطن ( سره ) الكرة الأرضية وخير ما فيها من بلاد فهي كلمة من فهمها حق فهمها ، وقام بحقوقها ، وحفظَ عليها حرمتها كانت له أكبر عون على آمال يريد تحقيقها ، وأما يود حصولها . ومن ضيئها ، وحقر شأنها ، ونكث عهدها لم تؤاته على آماله بل سلبت منه ما كان وجهه وهدمت ما كان أقامه

وإذا كانت هذه مكانة الارشاد كان من الواجب علينا أن نعالج موضوعه ونُفِلم بأبعانه حتى نحرك آلاف العلماء ليقوموا بواجب النصح ويؤدوا العمل الذي كتب الله عليهم أن يؤدوه ، وأخذ عليهم الليثاق أن يبينوه ولا يكتُموه . وحتى يعرف الذين تصدوا للارشاد - ولم يحسنوا - الطريق السوي الذي يصلون منه الى النفوس فيحركونها نحو ما يحبون ، أو يكوّنونها كما ينبغي - وقد رأيت أن أقسم موضوع الارشاد الى أربعة أقسام :

الأول - في وجوب الارشاد

الثاني - في بيان من يصلح للارشاد

الثالث - في طرق الارشاد

الرابع - كيف يتكوّن المرشدون

## \* ١ - وجوب الارشاد \*

قال تعالى ( وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ  
 عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ) وقال تعالى ( إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ  
 الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ  
 اللَّاعِنُونَ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّا فَاوَلَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ )  
 وقال تعالى ( وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا  
 تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ <sup>(١)</sup> وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُئِسَ مَا يَشْتَرُونَ )  
 وقال ( لَمِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ  
 بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنِ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ )  
 وقال ( لَوْلَا يُنَاهِمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ <sup>(٢)</sup> عَنِ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السَّحْتَ <sup>(٣)</sup> )  
 لبئس ما كانوا يصنعون ) وقال تعالى ( وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ <sup>(٤)</sup>  
 بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ  
 وَيَطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ) وقال ( وَمَنْ  
 أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ) وقال تعالى  
 ( أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَاللَّوَعظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بَالِغًا هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ  
 رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ نُصِّلَ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ) وقال ( قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي  
 أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ )  
 وقال تعالى ( وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ  
 لِلتَّقْوَى ) وقال تعالى ( فَلَوْلَا نَفَرَ <sup>(٥)</sup> مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ  
 وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ )

وروى مسلم عن أبي سعيد الخدري رضى الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله

(١) طرحوه (٢) الصبا والعلما (٣) الحرام (٤) أنصار (٥) ذهب وسائر

يقول صلى الله عليه وسلم « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبأسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الأيمان »

وروى الشيخان عن تميم الدارى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « الدين النصيحة » قاله ثلاثاً قال : قلنا لمن يا رسول الله قال : لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم :

وروى مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي الا كان له من أمته حواريون (١) وأصحاب يأخذون بسنته ، ويقتدون بأمره ثم انها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ، ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدكم ببيده فهو مؤمن ، ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الأيمان حبة خردل » إلى غير ذلك من الآيات والاحاديث التي ذكرنا كثيراً منها وان كان

المتروك أكثر انبين لحضرات العلماء الذين يعيشون لأنفسهم دون أممهم ودينهم أن واجب الارشاد ليس دون الصلوات والزكوات والفرائض المحتمة في الدين المعروفة بين جمهور المسلمين . فهل رأيت من الحث في القرآن على الصيام الذي هو ركن من أركان الاسلام مثل ما رأيت من الحث على الارشاد ووجوب التذكير والعظة ، والانذار بسوء العاقبة لمن قعد عن القيام بهذا الواجب الذي من أجله بعث الله الرسل مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل والذي من أجله أنزل كتبه بين خلقه يستضيئون بنورها اذا أظلمت عليهم للقاصد والتوت طارق الحق ، وضل الناس المحجة . وهل مدح الله العلماء بما مدحهم به في القرآن الا لأنهم ورثة الانبياء ، يُتْلَقُونَ الشرائع للناس ، ويرشدونهم الى طرق النجاة والنجاح ، يرشدونهم الى أسباب السعادة والعزة في هذه الدار ( والله العزّة (٢) ورسوله وللهؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون ) وفي الدار الآخرة ( وان الدار الآخرة لى الحيوان (٣) لو كانوا يعلمون )

(١) حوارى الرجل خالته المخلصون له (٢) الغلبة والنصر (٣) أى الحياة الحقة

## ﴿ ٢ - من يصلح للارشاد ﴾

ما خرج من اللسان لا يتجاوز الآذان ، وما خرج من القلب وصل الى القلوب ، فحرك دم الاصلاح فيها ، فحرك الأعضاء الى الخير والعمل الصالح ، حركها الى حيث السعادة للنفس والعشيرة والخلق فالنفس الطيبة لا تصدّر إلا طيبا ، والنفس المسكنة تستطيع أن تكمل غيرها ، والنفس الناقصة أولى بها أن تتدارك عيوبها ثم تتطلع بعد ذلك لاصلاح غيرها ولا يمكن أن يعطى الشيء فاقده بل ينفق كل امرئ من وُجده . اذا أردنا أن نعرف المثل الاطى للمرشدين فعلينا بالانبياء والمرسلين فمن صفاتهم نتعرف صفات المرشدين ومن طرقهم نتبين طرق المصلحين ( لقد كان لكم في رسول الله أسوة <sup>(١)</sup> حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذَكَرَ اللهُ كثيرا ) المرشد شخص كملت نفسه ، وتهذب خلقه ورشد عقله ، غامل بما علم ، واقف عند ما رسمه له الشارع لا يلتوى عنه يَمْتَنُة أَوْ يَسْرَةَ مَلَىء قلبه بخشية الله ، فلا يفعل ما يفعل ، ولا يترك ما يذرخشية من الناس أو من قانون وضعي <sup>(٢)</sup> تطبق عليه نصوصه بل يفعل <sup>(٣)</sup> الخير ويترك الشر لأنه يرى سلطان الله محيطا به من كل جانب ، ويرى عين الله تُبْصِرُهُ كُلَّ حين ، تبصره وهو على ملا من الناس قد غمره نور الشمس ، وتبصره وهو في زوايا بيته في الظلام الدامس ، والليل الحالك يُحِبُّ ما يقربه الى ربه ، وَيُبْغِضُ كُلَّ ما يبعده عن سبيله يرى أن كتاب الله <sup>(٤)</sup> إمامه فلا يحكم بغير ما يحكم ، ولا يقول غير ما يقول يجعله سلوته في غدواته وروحاته ، وفي أوقات فراغه ، يعكف عليه يتعلم منه الحكمة ، ويتبصر منه طرق الهداية وموارد الرشاد . يأتي بالرسول <sup>(٥)</sup> في أعماله وأخلاقه وعقائده وأدابه المرشد شخص بصير بأحوال الناس ، خبير بأمورهم ، ليس خبالا ولا مغفلا يُضْحَكُ عليه وَيُسَخَّرُ منه ، عليم بالطريق الذي يسوسهم منه ويأخذ بهم الى حيث عزهم ومجدهم وعلومهم وسعدهم ، المرشد شخص جعل الصبر عُدَّتَهُ ، وتَحَمَّلَ الأذى

في سبيل الحق خلّته فما يصيبه من الآلام ، وما ينتابه من النائبات يَتَقَبَّلُهُ بقلب ثابت ، وجأش رابط بل يستعذب المرء في سبيل الدعوة ، ويستسهل الصعب في سبيل إعلاء كلمة الله كلما طعن بطعنة أو قذف بسبّة تأمى بالأنبياء قبله وقال : هذا سيد الرسل رمي بالسحر والجنون والافتراء على الله ومسّ الشيطان وأوذى في سبيل الله أشد الإيذاء فما كان يقول إلا ( اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون ) ثم يقول لنفسه : إن مرتبة الارشاد من المراتب العالية التي لا تُنال الا بالجدّ والصبر على المشاق ، ويتمثل قول الله تعالى ( وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون )

المرشد لا يعرف اليأس اليه سبيلا ، وكيف يتمرّب اليأس الى نفسه وما عليه الا البلاغ المبين ، فان عمل الناس بما دعا فتلك البغيّة ، وان عرضوا عنه فانما عليه البلاغ وعلى الله الحساب ، إذا خاطبه ضعيف الإيمان وقال له مُشَبِّطاً من عزمه : وما ذا تبلغ كلتلك من نفوس الناس ، وما ذا عسى أن يكون أثرها فيهم ؟ حكى له قول الله في قوم من بني اسرائيل قالوا مثل مقالته ( وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ وَلَهُمْ يَتَّقُونَ )

المرشد شخص يعرف القرآن جيداً المعرفة ، ويعرف أعمال الرسول ﷺ وهدية في صلاته وزكاته وصيامه وحجّه ومعاشرته لأهله وقومه وجهاده في سبيل نشر الدين ،

المرشد سياسي حكيم يأتي الناس من جهة ما يعرفون ليصِلَ بهم الى ما ينسكرون من حيث لا يشعرون فيستقيم السواء في كواب الشراب العذب مضيئاً اليه من المواد ما يفعل موازته ، يدعوهم الى سبيل ربه بالحكمة والوعظة الحسنة ، ويجهادهم التي هي أحسن ، فلا يشتد في موضع اللين ، ولا يلين في موضع الشدة ، ولا يجمع الشر بالقوة إذا كانت الحكمة البالغة كافية يعظمهم بالقول الرقيق ، والأسلوب العذب الذي لا يصلو على أفهامهم ، ويجري في مجارى حديثهم .

المرشدُ النَّابِهَ يستطيعُ أن يعظ كلَّ صِنْفٍ مِنَ النَّاسِ وَإِنْ كَانُوا حُكَمَا ظَالِمِينَ ،  
 وعتاة جبارين ، وَإِنْ كَانُوا مَن ينفرون منه إِذَا رَأَوْهُ ، وَيَهْرولون عنه إِذَا لاقوه ،  
 فهو بحيلته ودهائه يستطيع أن يرُدَّ شاردهم ، وَيَكْبَحَجَّ جاحمهم الى حيث يسمعون  
 عظه البليغة ، وقولته الساحرة ، الذاعلة في النفوس ما لا تفعله السيوف  
 . ولو أردنا أن نسوق لذلك الامثال لكان من ذلك مؤلف ضخم وحسبنا  
 في ذلك سيرة الرسول ﷺ ففيها زاد المرشدين ، وعدة الداعين

### { ٣ - طرق الارشاد }

طرقُ الارشاد كثيرة ولكن نجتزئ بشهورها عن استقصائها. فنقول : أشهر  
 طرقه الخطابة والدرس والتثيل والأسوة الصالحة والكتابة .

أما الخطابة فهي أشد هذه الطرق آثرا في النفوس اذا كانت صادرة من قلوب  
 مخلصية ، طاهرة طيبة ، وكان لصاحبها من طلاقة اللسان ما يُحسِّن التعبير به عما  
 يُكده الفؤاد . وكان الخطيبُ مراعيًا مقتضيات الاحوال فيخطبُ في الحوادث  
 النازلة ، والوقائع الجديدة ، ولا يسلك ما يسلكه خطباؤنا في هذا العصر ينهون عن  
 جرائم كانت في سالف الأيام ، ولم يكن لها وجود بين الناس ، بل لا يعرفون اسمها  
 الا من طريق الخطباء ، ويأمرون الناس بما هم به قائمون بدل أن يأمرهم بما هم فيه  
 مقصرون ، وينهون عما هم له مُجترحون ، نرى خطباءنا يخطبون بما يملو على  
 الأذهان ، ولا يفهمه الا العلماء ، وَيُكثِرُونَ مِنَ المجازات والاستعارات والمحسنات ،  
 وان كان في ذلك إضاعة المعنى ، والتعمية في المعنى ، وكان جديراً بهم أن يخطبوا  
 الناس بما يعقلون ، ويتخيروا من الالفاظ ما يعرفون ، فليس الغرض من الخطابة  
 امتحان الخطيب ومعرفة بلاغته ، وإنما الغرض إيصال المعاني الى القلوب ، فكل  
 طريق يصلُ بالخطيب الى هذه الغاية عليه أن يسلكه ، ولو كانت عبارته الى العامية  
 أقرب منها الى العربية الفصحى ، وليت هذه الخطبة من صنوع الخطباء ولكن  
 أكثرها من صنع القدماء ، على أني لا أحبذ في الخطيب أن يخطب من خلفه ،

أو من ورق في يده ولكن أحب له أن يرتجل ، وأن يأخذ من حال الحاضرين ما يجعله موضوع خطابه ، فإن رأى منكراً أو بدعة ولو في أثناء الخطابة تحول بكلامه نحوها كما كان يفعل رسول الله ﷺ

ولا أقصد بالخطابة خطابة الجمع فحسب بل ما يشمل ذلك ويشمل إلقاء المحاضرات في الجامعات والمنتديات بل الخطابة على الجماهير في الميادين العامة ، والمنتزهات الجامعة ، فإن قصر الخطابة على ما يكون يوم الجمع في المساجد ضئيل الأثر ، قليل النفع فإن من يحضرون المساجد قليل بالنسبة لمن يعيرون . ثم أكثر الحاضرين نفوسهم عارفة للدين ولكن أولئك الذين لا يعرفون بيوت الله أولى بالعضة والتذكرة ، وربما كان فيهم نفوس ممتقبلة ، وأرواح مستعدة

وحبذا لو عينت وزارة الأوقاف مرشدين في الميادين والمنتزهات والمنتديات والمجتمعات وأمرت وزارة الداخلية الجنود بأن يحافظوا على النظام ويسهلوا للواعظين القيام بهذه المهنة وأقد فكرت وزارة الأوقاف بمصر في إصلاح الخطابة فطلبت إلى المرين والمرشدين والواعظين والكتابين أن يوافقوها بخطب تناسب العصر وتقتلع من النفوس جرائم الامراض الخلقية ، فتقدم إليها أولئك بما جادت به القرائح ، ولكن لم تصنع فيه شيئاً على أن هذه الطريقة في الإصلاح قليلة الفائدة فإن الخطيب إذا كانت نفسه مصدر خطابه وكانت زكية طيبة اجتمع كلامه وحاله وقلبه في التأثير على السامعين فكان لثلاثتها من التأثير ما ليس الكلمات يلوكنها بلسانه ، لا صلة بينها وبين قلبه ، بل ربما كان جاهلاً معناها ، غير واقف على مغزاها ، فلا جرم كان ما صاغه أفيد في العظة مما صاغه غيره لعالم غير عالمه

وأما الوعظ من طريق الدرس فله في نفوس الطلبة آثار حسنة خصوصاً إن كانوا صغاراً لم تلوث نفوسهم بمسئد بل كانت على الفطرة التي فطروا عليها ، فإن المدرس الماهر يستطيع أن يصوغ هذه النفوس في قالب الذي يحب ، وإذا عرفنا طول عشرة التلميذ لمعلمه أدركنا أن كلمات المعلم بما سكنت القلوب ساعة تخرج

لسابق للعرفة ، وطول التجربة ، وإذا كان المدرسون أكثر الفئات الصالحة للوعظ علمنا أن واجبهم في الدعوة عظيم ، ولا سيما أنهم يصاحبون الطالب بضع سنين ، فلو أن مدرسي المدارس الأولية والابتدائية والثانوية والعالية والمعاهد الدينية عنوا ببيت الاخلاق الفاضلة ، والعقائد الحقة في نفوس المتعلمين لغيروا هذه النفوس في الزمن اليسير إلى ما هو خير وأصلح ، وكل مدرس يستطيع أن يقوم ببيت ذلك ، ولو لم يكن العلم الذي يدرسه من علوم الدين أو الاخلاق فان للطلبة أوقاتا يسأمون فيها العلم المحتم ، وتمتعش نفوسهم للمسائل الخارجية ، فلو أن نفس المعلم عنيت بالارشاد ما صدّها عن غرضها صادّ ، وليس في هذا تقصير في القيام بالواجب ، فان تكوين الأخلاق والآداب أولى من حشو الأدمغة بالمسائل العلمية ، وماذا تنتفع من علم شخص فسدت أخلاقه وآدابه ، وعاث في الارض فسادا ، فليتيق الله حضرات المعلمين ، وليعلموا أن الله أودعهم ودائع ، وأوجب عليهم رعايتها ، والقيام بحققها فهم رعاتها وكل زاع مسئول عن رعيته

ولا يفوتني في هذا المقام أن أذكر حضرات العلماء الذين عينتهم وزارة الاوقاف أو الداخلية للوعظ والتذكير بأن يتخيروا الموضوعات التي تناسب العامة وتليق بالجمهور كشرح آية أو حديث بهيئة سهلة يكثر فيها ضرب الأمثال بالمعهود لهم ولا يعتمدوا الى المسائل الفقهية العويصة فيشرحوها للعامة فان ذلك مفضلة لاهداية ، ولقد سمعت مرة مدرسا يفسر للعامة ( ألم ) ويذكر ما فيها من وجوه الاعراب ومختلف الأقوال ، والحمد لله أن لم يكن أمامه الا شخصان وأظن أنهما لم يجلسا اليه لسماح عظمته وإنما جلسا اليه خشية الأيبد للمدرس من يسمع لقوله . ورأيت آخر يعلم الناس الصلاة فيقول فرائضها كذا وواجباتها ثمان وسبعون وسننها ثلاثون أفلا ترى - أرشدك الله - أن هذا مُذَفَّرٌ لإداعية ، ومُعَسَّرٌ على الناس لا يُبْتَمَرُ ، والله يقول ( وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ) ( يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ) ويقول النبي ﷺ « يَسْرُوا وَلَا تَعْسَرُوا » وكان خيرا لهذا المدرس أن يشرح

الصلاة ببيان صفتها بقوله وعمله فان تلك سنة الرسول ﷺ وتلك اللحظة المناسبة لأفهام الجمهور

ولقد وزَّعت وزارة الأوقاف على مدرسيها وخطبائها كتاب (مفتاح الخطابة والوعظ) الذي هو آيات بينات وأحاديث صحيحة فلأن يدرسوا للناس هذا الكتاب أولى من درسيهم كتب الفقه والكلام فان أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد ﷺ

وأما التخيل فلا بأس به لو خلا من الغرام والعشق والغيب الحسان ، ولكن يظهر أن ذلك من لوازمه في عصرنا وأنه لا تنفق سوقه الا بهذه المحسنات ، لهذا كان من رأينا أن انعم أكثر من نفعه وشره فوق خيره سيما اذا علمنا أن أكثر الذين يقومون به من الطبقات المنحطة الذين تلوثت نفوسهم بالفسق والفجور ، وعتوهم بالخدرات والخمر ، فاقبال هذه الدور خير من فتحها وحبذا لو فعلت الحكومة ذلك ، وحملها في النهي عن المنكر أكبر الأحمال ، فان عليها منه بقدر ما لها من السلطان وسلطانها أكبر سلطان وان الله ليزع بالسلطان أكثر مما يزع بالقرآن

وأما الأسوة الصالحة فهي الداعي الصامت الذي يؤثر بصمته كما يؤثر المتكلم بكلمته بل ربما كان الصمت أشد بلاغة من للنطق يدموك بعض الناس الى انبياء بكلامه وربما كان عمله على خلاف ما دعا اليه فمثل هذا لا يرجي من ولاة وعظه خير وانما الخير في كلام تعززه أعمال ، وفي مثل هذا يقول الله ( أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ؟ ) ويقول ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَعْمَلُونَ ؟ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَعْمَلُونَ )

يقول علماء الاخلاق : إن البيعة والوسط الذي يعيش فيه الانسان له تأثير كبير في تكوين اخلاقه ، فان كان صالحا كان كل ما حواه صالحا ، وإن كان فاسدا انتشر الفساد منه الى كل ما جاوره ، وما يقولون حق وذلك لأن أعمال

المجتمع الطيب تسرى في نفوس الافراد من غير أن يشعروا وكذلك الفرد الصالح يؤثر فيمن حوله بالصالح ، ولذلك آمن كثير من الناس بالرسول ﷺ بمجرد أن عرفوا حاله وخلقه فكان منها أكبر شاهد على صدقه ويقول الله في حقه ( أَقْدَرُ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ) ويقول في إبراهيم عليه الصلاة والسلام ( قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ ) فإذا كان بعض الناس يُعَيِّبه الكلامُ والموعظةُ باللسان فليحسن خلقه وعمله ، فإن ذلك ارشاد ودعوة وقيام بواجب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

أما الكتابة فانها وإن كانت أندى صوتاً وأبعد مذى لأنها تسمع القريبين والبعيدين والأجيال الحاضرة والقابلة أثرها دون أثر الخطابة فإن الحال فيها يساعد اللسان وربما فهم السامعون من الحال فوق ما يفهمون من المقال والكتابة التي تعتبر من طرق الارشاد هي الكتابة الخطابية التي يقصد فيها الى تحريك أوتار القلوب والتأثير في الأعصاب الحساسة ومثالها الأعلى القرآن فان طريقته خطابية ولكن مبناهما الحق والواقع دون التصوُّر والخيال . أما الكتابة العلمية فصلتها بالاخلاق ضعيفة ، وان كانت علاقتها بالعقول وثيقة وتكوِّن الاخلاق يجب أن ننحى فيه نحو المشاعر والعواطف ، دون الافكار والعقول وقد أصبحت اذاعة الكتابة ميسرة فالمطابع انتشرت في كل مكان والجرائد والمجلات ذاعت في أقطار المعمورة فما على الكاتب الا أن يكتب على نحو ما رسمنا فاذا بكتابه قد عَبَّرَتِ الفياقِ والبحارَ ودَوَى صوتها في الآفاق وتلقفها ملايين البشر مُتَمَسِّين خيراً ما فيها ، والواعظ الحازم يستطيع أن يُبَلِّغَ الناس من طرق كثيرة ربما عرف منها ما جهلناه - والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم -

## ﴿ ٤ - كيف يتكون المرشدون ﴾

في مصر ثلاثة آلاف عالمٍ أوزيدون وعشرات الألوف من طلبية العلم قل  
أن تجد فيهم من يُحسِنُ الإرشادَ ويستطيعُ أن يأخذَ بزمامِ القلوبِ فيقرُدَها إلى  
حيثُ سعادتها في حياتها العاجلةِ والحياةِ القابلةِ

وما كان ذلك لنقصٍ في عقولهم أو فسادٍ في فطرتهم ولسكنٍ لم يُسلَكِ بهم  
السبيلُ السويُّ الذي سلكه ربُّ العالمين في تكوينِ سيِّدِ المرسلين وخير المرشدين  
محمدِ بنِ عبدِ الله صلواتُ الله وسلامه عليه

وان يكن استعدادنا دون استعداد الرسول ﷺ فلا ما نع من أن نُسلمَ أو  
تقاربَ فإن الله لم يكلفنا ما لا طاقةَ لنا به « لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا »

لذلك فكرت طويلاً التفكير في الطريق الذي نستطيع به تكوين  
المرشدين الصالحين غير مبالٍ برسومٍ أو تقاليدٍ فهداني طولُ البحثِ وصادقُ البلاءِ  
إلى الطريقةِ الآتيةِ : إذا أردنا تربيةَ مرشدٍ فعلياً أن نُحَفِّظَهُ القرآنَ بإرشادِ قارئٍ  
تقَى حَسَنِ السيرةِ والخُلُقِ وذلك بعد أن يُسَلِّمَ بالقراءةِ والكتابةِ والعلومِ الأوليةِ  
التي تَتَّقِي الأذهانَ وتُنَمِّي العقولَ فإذا ما أتمَّ حفظه علمناه القواعدَ النحويةَ مع  
التطبيقِ الكثير من آي القرآن ثم ألقينا بزمامه إلى عاقلٍ أديبٍ دينٍ يقرأ عليه كثيراً  
من كتب الأدبِ الشعريةِ والنثريةِ ويُدربه في أثناء ذلك على الكتابةِ والخطابةِ  
فإذا ما أجاد الكتابةَ وانطلق لسانه بالخطابةِ رجعنا به إلى القرآن - وقد حفظه -

وطالبناه بالاكثر من تلاوته مع تفهيم معانيه وتدبر آياته دون أن يستعين بكتاب  
تفسيرٍ أو معلمٍ ، اللهم الاعقله الناضج وفطرتة السليمة وأدبه الذي تعلمه ، فإن لم يكن  
له في كل أولئك الكفاية فوقف في فهم كلمةٍ غريبةٍ أو معنى آيةٍ غامضٍ فلا عليه  
ان استعان بكتب التفسير أو معلم أمين ولكن بمقدار ما يُعرَفُ المجهولَ ويستبين  
المستور ثم يعود سيرته الأولى في الاستقلال بالفهم ، واستنباط المعاني والحكم  
والاحكام التي تضمنتها الآيات

وانما اخترنا تلك الطريق من بين سائر الطرق في تعلم القرآن للأسباب الآتية  
 أولا - هذه هي الطريقة التي تعلم بها الرسول ﷺ وصحبه كتاب الله المبين  
 فكانوا يعتمدون على عقولهم ولقنهم الفطرية في تفهم الآيات وكانوا اذا وقفوا في كلمة  
 أو آية سأل غافلهم اذا كرههم وعالمهم من هو أعلم منه « فاسألوا أهل الذکر ان  
 كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر وانزلنا إليك الذکر لتبين للناس  
 ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون » ولذلك لما وقف عمر بن الخطاب في كلمة  
 الأب في قوله تعالى « وفاكحة وأبنا » سأل عنها فأخبر أنها المرعى

ثانيا - كتب التفسير محشوة بالخرافات الاسرائيلية والباطيل الذهبية  
 ثم هي لم تفسر كتاب الله من حيث هو كتاب هداية يقضى بين الناس فيما فيه  
 يختلفون بل عمدوا الى التكتات البلاغية والمسائل النحوية فأطالوا الكلام فيها  
 بما حال بين القلوب ومعاني القرآن وهدايتة ، ثم تراهم يفسرون اللفظة أو الجملة بكل  
 احتمالاتها وان أتى ذلك الأسلوب أو ناقضه آية أخرى ، ثم تجدهم يؤولون القرآن  
 حسب مذاهبهم الفقهية أو نحلمهم العقديّة ، فترى الكشاف على جلالته في التفسير  
 وسبقه الجم الغفير يرجح دائما آراء المعتزلة وينهج في التفسير ما يوافقها ، وترى الفخر  
 الرازي يعزز آراء الشافعية ويؤيد آراء الرازي من الحنفية ، وترى النسفي متمصبا  
 لمذهبه يقضي له في كل شجار وإن كان غيره واضحا لمحجة قائم البرهان ليس عليه  
 غبار ، واذا نظرت في تفسير النيسابوري وجدته سلك مسلك الباطنية في بيان القرآن  
 وإن هم الافارقة أرادت القضاء على الدين من حيث لا يشعر المسلمون فيفسرون كتاب  
 الله بما لا يتفق واللغة ولا ترشد اليه السنة بل بما يناقضه ويأني على صرح بنائته  
 من القواعد

من أجل ذلك لا نرى للمرشد بل لكل متفهم للقرآن أن يتعرفه من طريق  
 العكوف على كتب التفسير بل عليه أن يعتمد على نفسه بعد أن يحصل ما رسمنا  
 مضيئا اليه معرفة سيرة الرسول ﷺ وسننه العملية معتمدا على الكتب

الصحيحة التي كذبت بعين النقد والبصيرة « ككتاب زاد المعاد في هدى خير العباد » لابن قيم الجوزية وان يكن لا بد من كتاب في التفسير فخيرها في نظرنا « جامع البيان في تفسير القرآن » للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠ هـ - فانه تفسير سلفي فسّر به القرآن من حيث هو كتاب هداية وكتب قبل أن ترفع الفرق الزائفة رموسها وقبل أن تتمكن في النفوس بدعة التعصب للمذاهب التي أضرت بالكتاب والسنة ضررا بليغا على أن كتب التفسير على كثرتها أخذت أحسن ما فيها من تفسير ابن جرير وتفسير الكشاف مضافة الى ما أخذته غثا من القول وتعصبا للمذاهب وتقرأ في الاعراب وفي استخراج النكت البلاغية حاشا مسائل وقتت فيها ، فالعناية بالاصل أولى من العناية بهذه الكتب المخرفة في ألفاظها ومعانيها والتي كتبت بلسان التعصب والصناعة لا بلسان الحق والهداية

ثالثا - ما فهمه الانسان من تلقاء نفسه وكان نتيجة بحثه وكده يتمكن من قلبه ، ولما تذهب به يدالنسيان ، ثم ان الانسان بذلك يتعود الاستقلال في الفهم ، والاعتماد على النفس والترفع عن حضيض التقليد ، وربما عن له من المعاني ما لم يعن السابقين وربما كان في عصره حوادث كشفت عن معاني كثيرة من الآيات فاذا كان مستقلا في فهمه مسترشدا بأحوال عصره في تفهم القرآن سهل عليه ادراك هذه المعاني الجديدة على أنى لا أعتبر مفسرا من يحفظ أقوال غيره دون أن تكون له ملكة فهم في القرآن فان هذا ان حوّل عما يحفظه قليلا لم يستطع متابعة السير معاك لأنه ما تعود الاستقلال في البحث

ذلك ما يتعلق بأصل الدين في تكوين المرشدين ولكن لن يصلوا الى حبات القلوب بوعظهم الا اذا عرفوا الدنيا وسير أهلها وأخلاقهم ، لذلك كان من الواجب أن يتعرفوا أحوال المسلمين العامة وصلاتهم بغيرهم من الأمم الأخرى ، وأن يختلطوا بالناس ليعرفوا عللهم وأمراضهم حتى إذا ما وصفوا لهم الدواء أتى على الداء فبرا بأذن

الله وكأني من واعظ لعدم تبصره بشؤون الناس أضلّ أكثر، ما هدى وهم فوق ما بنى ونفّر بدل أن قرب، فأمثال أولئك دعاة الغواية لا رسل الهداية أولئك يفسدون في الأرض ولا يصلحون

وكما تلزم الواعظ الخبرة بأحوال الناس ينبغي أن يقف على طرف من علوم الحياة التي تبصره بالكون ونظامه والسنن التي قام عليها بناؤه حتى يكون له من ذلك معين على معرفة أسرار الله في صنعه وحكمته في تدبير خلقه وبذلك يستطيع فهم آي القرآن الكونية وتقريبها من أفهام العامة فيبصر ويبصرون وبيات الله يوقنون وعلى الله قصد السبيل

## امام الوعاظ

امامنا في الدعوة والارشاد خاتم النبيين محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه وقد خطب الجمهور وراسل الملوك وكان إمامه كتاب الله يعمل بارشاده يُنقذ أمره ويتجنب نهيه وكان يُكثِرُ من تلاوته نهاره وليله حتى صفت نفسه وأنشرح صدره فكانت كلمه على الناس بردا وسلاما و يقينا و ايمانا ، لذلك رأينا أن نُحَيِّجَ جيد كتابنا بخطب الرسول ﷺ ومكاتباته إلى الملوك والامراء لتكون زبراساً لنا في وعظنا وارشادنا ودعوتنا ملوك الوقت وحكامه إلى دين الله ، وتقدم لك بين يدي ذلك . فصلا في هديه ﷺ في قراءة القرآن وترتيبه ، لأنه مَوْءَلُ الواعظ ومعينه وخليله وسعيده . وفصلا آخر في هديه ﷺ في خطبه لتتبعين طريقه وتسلق سبيله « قال هذ، سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين » « وإنما امرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شئ وأمرت أن أكون من المسلمين وأن أتلو القرآن فمن اهتدى فإنا يهتدى لنفسه ومن ضل فقل إنما أنا من المنذرين . وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون »

هدية صلى الله عليه وسلم في قراءة القرآن واستماعه

كان له صلى الله عليه وسلم حِزْبٌ يَقْرُوهُ وَلَا يَخُلُ بِهِ وَكَانَتْ قِرَاءَتُهُ تَرْتِيلًا لَا هَذَا وَلَا عَجَلَةٌ بَلْ قِرَاءَةٌ مَفْسُورَةٌ حَرْفًا حَرْفًا ، وَكَانَ يُقَطِّعُ قِرَاءَتَهُ آيَةً آيَةً ، وَكَانَ يَمُدُّ عِنْدَ حُرُوفِ الْمَدِّ فَيَمُدُّ الرَّحْمَنَ وَيَمُدُّ الرَّحِيمَ وَكَانَ يَسْتَعِينُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ فِي أَوَّلِ قِرَاءَتِهِ فَيَقُولُ : أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْ تَهْمَزِهِ وَتَفْخِيزِهِ وَتَفْخِيزِهِ (١) ، وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يَسْمَعَ الْقُرْآنَ مِنْ غَيْرِهِ وَأَمْرَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَرَأَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَسْمَعُ ، وَخَشَعَ صلى الله عليه وسلم لِسَمَاعِ الْقُرْآنِ مِنْهُ حَتَّى ذَرَفَتْ عَيْنَاهُ (٢) وَكَانَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ قَائِمًا وَقَاعِدًا وَمُضْطَجِعًا وَمَتَوَضِّئًا وَمُحَدِّثًا وَلَمْ يَكُنْ يَمْتَنِعُ مِنْ قِرَاءَتِهِ إِلَّا الْجَنَابَةَ وَكَانَ يَتَغَنَّى بِهِ وَيُرْجِعُ صَوْتَهُ بِهِ أحيانًا وَقَدْ اسْتَمَعَ صلى الله عليه وسلم لَيْلَةَ لِقَاءِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ فَلَمَّا أَخْبَرَهُ بِذَلِكَ قَالَ : لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّكَ تَسْمَعُهُ لَخَبَّرْتُهُ لَكَ تَحْيِيرًا أَوْ حَسَنَةً وَزِينَةً بِصَوْتِي تَزِينَانَا

وَأَعْلَمُ أَنَّ التَّطْرِيبَ وَالتَّغْنَى عَلَى وَجْهَيْنِ « أَحَدُهُمَا » مَا اقْتَضَتْهُ الطَّبِيعَةُ وَسَمَّحَتْ بِهِ مِنْ غَيْرِ تَسْكَفٍ وَلَا تَمَرُّنٍ وَتَعَالِيمٍ بَلْ إِذَا خَلَّى وَطْبَعَهُ وَاسْتَرْسَلَتْ طَبِيعَتُهُ جَاءَتْ بِذَلِكَ التَّطْرِيبَ وَالتَّلْحِينَ فَذَلِكَ جَائِزٌ ، وَإِنْ أَعَانَ طَبِيعَتَهُ فَضْلُ تَزْيِينٍ وَتَحْسِينٍ كَمَا قَالَ أَبُو مُوسَى لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم : لَوْ عَلِمْتُ أَنَّكَ تَسْمَعُ لَخَبَّرْتُهُ لَكَ تَحْيِيرًا ، وَالْحَزِينَ وَمِنْ هَاجَةِ الطَّرْبِ وَالْحُبِّ وَالشُّوقِ لِأَنَّكَ مِنْ نَفْسِهِ دَفَعَ التَّحْزِينَ وَالتَّطْرِيبَ فِي الْقِرَاءَةِ وَلَكِنْ النُّفُوسُ تَقْبَلُهُ وَتَسْتَحْلِيهِ لِمُوَافَقَتِهِ الطَّبِيعِ وَعَدَمِ التَّكْلِفِ وَالتَّصْنَعِ فَهُوَ طَبِيعِيٌّ لَا مُتَّطَبِّعٌ وَكَأَنَّكَ لَا مُتَّكَلِّفٌ فَهَذَا هُوَ الَّذِي كَانَ السَّلَافُ يَفْعَلُونَهُ وَيَسْتَمْعُونَهُ وَهُوَ التَّغْنَى الْمَدْرُوحُ الْمَحْمُودُ وَهُوَ الَّذِي يَتَأَثَّرُ بِهِ السَّامِعُ وَالتَّالِي « الْوَجْهَ الثَّانِي » مَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ صِنَاعَةً مِنَ الصَّنَائِعِ وَلَيْسَ فِي الطَّبِيعِ السَّمِاحَةُ بِهِ بَلْ لَا يَحْصُلُ إِلَّا بِتَّكْلِفٍ وَتَمَرُّنٍ كَمَا يَتَعَلَّمُ أَصْوَاتَ الْغَنَاءِ بِأَنْوَاعِ الْأَلْحَانِ السَّادِجَةِ وَالمَرْكَبَةِ

(١) المَعْرُوفُ النَّحْسُ وَالنَّمْزُ وَالتَّفْخِيزُ نَفْخٌ فِيهِ قَلِيلُ الرِّبْقِ (٢) ذَرْفُ الدَّمْعِ سَالٌ

على إيقاعاتٍ مخصوصة وأوزانٍ مختصرة لا تحصل إلا بالتعلم والتكلف ، فهذه هي التي كرهها السلف وعبأوها وذموها ومنعوا القراءة بها وأنكروا على قارئها (١)

### هدية صلى الله عليه وسلم في خطبه

خطب صلى الله عليه وسلم على الأرض وعلى المنبر وعلى البعير وعلى الناقة وكان منبره ثلاث درجات وكان قبل اتخاذ الخطب إلى جذع (٢) يستند إليه ولم يكن المنبر في وسط المسجد وإنما كان بجانبه الغربي قريباً من الحائط وكان بينه وبينها قدر عمر الشخص

وكان إذا خطب احمرت عينه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول : صَبَحَكُمْ وَمَتَّأَكُمْ ويقول : بعثت أنا والساعة كهاتين ويفرق بين أصبعيه السبابة والوسطى ويقول : أما بعد فإن خير الحديث كتابُ الله وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار . ثم يقول : أنا أولى بكل مؤمن من نفسه من ترك ما لأهله ومن ترك ديناً أو ضياعاً (٣) فإلى وعلى وكان لا يخطب خطبة الافتتاح بحمد الله وأما قول كثير من الفقهاء إنه يفتتح خطبة الاستسقاء بالاستغفار وخطبة العيدين بالتكبير فليس معهم فيه سنة عن النبي صلى الله عليه وسلم ألبتة وسنته تقتضي خلافه وهو افتتاح جميع الخطب بالحمد لله وكان في خطبه يتشهد بعد الحمد والثناء ويذكر فيها نفسه باسمه العلم وثبت عنه أنه قال : كل خطبة ليس فيها تشهد فهي كاليد الجذماء (٤) وكان يقول بعد الثناء والشهد : أما بعد .

وكان يختم خطبته بالاستغفار وكثيراً ما كان يخطب بالقرآن ، وفي صحيح مسلم عن أم هشام بنت حارثة قالت : ما أخذت قرآن والقرآن المجيد إلا عن أسان رسول

(١) نلصنا هذا الفصل والذي يليه من زاد المعاد من مواضع مختلفة (٢) ساق النخلة (٣) الضياع - بالفتح - العيال وأصله مصدر ضاع يضيع ضياعاً فسمى العيال بالمصدر وإن كسرت للضاد كأن جمع ضائع (٤) القطومة

الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها كل يوم جمعة على المنبر إذا خطب الناس (١) ، وكان يكثر من ذكر الله ويعد الكلمات الجوامع وكان يقول في خطبه : أيها الناس إنكم لن تطيقوا أولن تفعلوا كل ما أمرتم به ولكن سدودا وأبشروا ، وكان يعلم أصحابه في خطبته قواعد الاسلام وشرائعه ويأمرهم وينهاهم في خطبته إذا عرض له أمر أو نهى . دخل عليك الغطفاني وهو يخطب فجلس فقال له : قم ياسليك فاركع ركعتين وتجاوز فيها (٢) ثم قال وهو على المنبر : إذا جاء أحدكم يوم الجمعة والامام يخطب فليركع ركعتين ويتجاوز فيها ، ونهى المتخطي رقاب الناس عن ذلك وأمره بالجلوس وكان يقطع خطبته للحاجة تعرض . والسؤال لأحد من أصحابه فيجيبه ثم يعود إلى خطبته فية ثها ، وكان يمازل عن المنبر الحاجة ثم يعود فيتمها . جاء الحسن والحسين يعثران في قيصين أحريين فقطع كلامه فنزل فحملهما ثم عاد إلى منبره ثم قال : صدق الله العظيم : إنا أموالكم وأولادكم فتنة . رأيت هذين يعثران في قيصيهما فم أصبر حتى قطعت كلامي وحملتهما وكان يدعو الرجل في خطبته : تعال اجلس يا فلان صل يا فلان ، وكان يأمر الناس بالنوم منه والانصات ويخبرهم أن الرجل إذا قال لصاحبه : أنصت فقد انما (٣) ويقول : من لغا فلا جمعة له . وكان يقول : من تكلم يوم الجمعة والامام يخطب فهو كمثل الحمار يحمل أسفارا (٤) والذي يقول له : أنصت ليست له جمعة (٥) - رواه الامام أحمد - وقال أبي بن كعب قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة تبارك وهو قائم فذكرنا بآيات الله وأبو الدرداء أو أبو ذر يعميرني فقال : متى أنزلت هذه السورة فإني لم أسمعها إلى الآن فأشار إليه أن اسكت ، فلما انصرفوا قال : سألتك متى أنزلت هذه السورة فلم تخبرني فقال : انه ليس لك من صلاتك اليوم إلا ما نورت فذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك وأخبره بالذي قال له أبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صدق أبي (٦) وقال صلى الله عليه وسلم : يحضر الجمعة ثلاثة نفر . رجل

(١) سبأني تفسيرها بعد (٢) خفف فيها (٣) عدل عن الصواب (٤) كتبنا  
(٥) رواه الامام أحمد (٦) رواه ابن ماجه وسعيد بن منصور وأصله في مسند أحمد

حضرها يلفو وهو حظه منها ، ورجلٌ حضر بدعاء فهو رجلٌ دعا الله عز وجل إن شاء أعطاه وإن شاء منعه ، ورجل حضرها بانصاتٍ وسكوتٍ ولم يتخَطَّ رقبة مسلم ولم يؤذ أحدا فهي كفارة له إلى يوم الجمعة التي تليها وزيادة ثلاثة أيام. وذلك أن الله عز وجل يقول - من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها (١) - وكان صلى الله عليه وسلم يأمرُ بمقتضى الحال في خطبته فإذا رأى منهم ذافاة وحاجة أمرهم بالصدقة وحضهم عليها ، وكان يشير باصبعه السبابة في خطبته عند ذكر الله تعالى ودعائه ، وكان يستسقي بهم إذا قط المطر (٢) في خطبته وكان يُنمِلُ يوم الجمعة حتى يجتمع الناس فإذا اجتمعوا خرج إليهم وحده من غير جأوش يصيح بين يديه ، فإذا دخل المسجد سَلَّمَ عليهم فإذا صعد المنبر استقبل الناس بوجهه وسلم عليهم ولم يدعُ مستقبل القبلة ثم يجلس ويأخذ بلال في الأذان فإذا فرغ منه قام النبي صلى الله عليه وسلم فخطب من غير فصل بين الأذان والخطبة لا بإيراد خبر ولا غيره ولم يرفع أحد صوته بشئ ألبته لا مؤذن ولا غيره ، ولم يكن يأخذ بيده سيفاً أو خنجره وإنما كان يعتمد على عصا أو قوس قبل أن يتخذ المنبر ، ولم يحفظ عنه أنه اعتمد على سيف ألبته ، وما يظنه بعض الجهال أنه كان يعتمد على السيف دائماً وأن ذلك إشارة إلى أن الدين قد قام بالسيف فمن فرط جهله فانه لا يحفظ عنه بعد اتخاذ المنبر أنه كان يرقاه بسيف أو قوس أو غيرها والدين إنما قام بالوحي وأما السيف فلحق أهل الضلال والشرك ومدينة النبي صلى الله عليه وسلم التي كان يخطب فيها إنما فتحت بالقرآن ولم تفتح بالسيف وكان صلى الله عليه وسلم يخطب في الجمعة قائماً ووجهه قبل الناس وكان بعد خطبته الأولى يجلس جلسة خفيفة ثم يقوم فيخطب الثانية فإذا فرغ منها أخذ بلال في الإقامة ، وكان يقصر خطبته أحياناً ويطلها أحياناً بحسب حاجة الناس ، وكانت خطبته العارضة أطول من خطبته الراضية وكان يخطب للنساء على حدة في العيدين ويحرضهن على الصدقة ، وكان يبدأ فيها بالصلاة قبل الخطبة فيصلى أولاً ثم يقوم مقابل الناس وعم جلوس على صفوفهم

فيعظهم ويوصيهم ويأمرهم وينهاهم وإن كان يريد أن يقطع بعثا قطعه أو يأمر بشيء أمر به ولم يكن هناك منبر يرقى عليه ولم يكن يخرج منبر المدينة وإنما كان يخطبهم قائما على الأرض وكان صلى الله عليه وسلم إذا رقى المنبر أخذ بلال في أذان الجمعة ولم يكن إلا أذان واحد فإذا أكمله أخذ النبي صلى الله عليه وسلم في الخطبة ولم يتم أحد يركع ركعتين ألبتة ومن ظن أنهم كانوا إذا فرغ بلال من الأذان قاموا جميعا فركعوا ركعتين فهو أجهل الناس بالسنة وهذا الذي ذكرناه من أنه لاسنة قبلها هو مذهب مالك وأحد في المشهور عنه وأحد الوجهين لأصحاب الشافعي أما السنة بعدها فتأبته فقد كان صلى الله عليه وسلم إذا صلى الجمعة دخل إلى منزله فصلى ركعتين

وكانت خطبه صلى الله عليه وسلم بيانا لأصول الإسلام من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ولقائه وذ كرا الجنة والنار وما أعد الله لأوليائه وأهل طاعته وما أعد لأعدائه وأهل معصيته، فيه لأل القلوب من خطبته إيمانا وتوحيدا ومعرفة بالله وأيامه لا كخطب غيره التي إنما تميد أموراً مشتركة بين الخلائق وهي النوح على الحياة والتخويف بالموت فإن هذا أمر لا يحصل في القلب إيمانا بالله ولا توحيدا له ولا معرفة خاصة ولا تذكيرا بأيامه ولا بعثا للنفوس على محبته والشوق إلى لقائه فيخرج السامعون ولم يستفيدوا فائدة غير أنهم يموتون وتقسّم أموالهم ويُنْبلي التراب أجسامهم، فياليت شعري أي إيمان حصل بهذا وأي توحيد ومعرفة وعلم نافع استفاده السامعون، ولكن طاب العهد وخفي نور النبوة وصارت الشرائع والأوامر رسوما تقام من غير مراعاة حقائقها ومقاصدها فأعطوها صورها وزينوها بما زينوها به فجعلوا الرسوم والأوضاع سندا لا ينبغي الإخلال بها وأخلوا بالمقاصد التي لا ينبغي الإخلال بها فرصعوا الخطب بالتسجيع والفقر وعلم البديع فنقص بل عدم حظ القلوب منها وفات المقصود بها ذلك كلام ابن القيم يصف به الخطابة في القرن الثامن وكانما يصف خطباءنا اليوم فإن أكثرهم كما قال غير أنهم ينقلون من دواوين وضعت لعصر غير عصرنا وكان لأهله حال تخالف حالنا وقد أكثروا فيها من الخرافات والأحاديث الضعيفة

بل الموضوعه كحمل الارض على ثور وإعتاق الله ستمائة ألف عتيق في كل ليلة من ليالي رمضان ويعتق في الأخيرة بقدر ما اعتق في الليالي السابقة أى يعتق الله ٣٦ مليوناً من النار كل سنة فإذا أخذنا بهذا الحديث لا يبقى في النار أحد لا مشرك ولا عاص بل يبقى فيها - مئات الملايين . فما أشقى الناس بأمثال هؤلاء المخرفين ولكن بدت والحمد لله روح الإصلاح وسيقتضى الصالح على الطالح « فأما الزيد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض »

## خطب الرسول ﷺ

وإذ قد فرغنا من بيان طريقته في خطبه نذكر لك ما وقفنا عليه من ذلك لتغذّي نفسك بكلام النبوة وتشجّد قريحتك برائع معانيها وحكمة مآقيها روى أبو داود في سننه عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، من يهد الله فلا مضلّ له ومن يضلّل فلا هاديّ له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله أرسله بالحق بشيرا ونذيرا بين يدي الساعة من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فإنه لا يضرّ إلا نفسه ولا يضرّ الله شيئا

وقال ابن شهاب : بلغنا أن رسول الله ﷺ كان يقول إذا خطب . كل ما هو آت قريب لا بُعد ما هو آت ولا يعجز الله لعجزلة أحد ولا يخفّ لأمر الناس ما شاء الله لا ما شاء الناس ، يريد الله شيئا ويريد الناس شيئا ما شاء الله كان ، ولو كره الناس ، ولا مبعّد ما قرّب الله ولا مقرب ما بعد الله ولا يكون شيء إلا بإذن الله

## خطبته ﷺ لما قدم المدينة

قال ابن إسحق : كانت أول خطبة خطبها رسول الله ﷺ فيما بلغني عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ونعوذ بالله أن تقول على رسول ﷺ ما لم يقل أنه قام فيهم